

دلائل الإعجاز

هاهنا وهاهنا وتذوّب من هذا المسيل وذلك حتّى يغصّ بها الوادي ويطفح منها .
ومن بديع الاستعارة ونادرها - إلا أنّ جهة الغرابة فيه غير جهتها في هذا قول
يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له وأنه مؤدّب وأنه إذا نزل عنه
وألقي عنانهُ في قرّ بوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه - الكامل - :
(عوّدوّته فيما أزور حبايبي ... إهماله وكذاك كلّ مخاطر) .
(وإذا احتبى قرّ بوسه بعنانيه ... على الشّكيم إلى انصراف الزّائر) .
فالغربة هاهنا في الشّبه نفسه وفي أن استدراك أنّ هيئة العنان في موقعه من
قرّ بوس السرج كالحية في موضع الثّوب من رُكبة المُحتبى . وليست الغربة
في قوله :

(وسالت بأعناق المطيّ الأباطح ...) .

على هذه الجملة وذلك أنه لم يُغرب لأنّ جعل المطيّ في سرعة سيرها وسهولته
كالماء يجري في الأبطح فإنّ هذا شّبه معروف ظاهر . ولكنّ الدقة واللطف في
خُوصيّة أفادها بأنّ جعل " سال " فعلاً للأباطح ثم عدّاه بالباء ثم بأنّ أدخل
الأعناق في البيت فقال : " بأعناق المطيّ " ولم يقل بالمطيّ ولو قال : " سالت
المطيّ في الأباطح " لم يكن شيئاً . وكذلك الغربة في البيت الآخر ليس في مطلق
معنى " سال " ولكنّ في تعدّيته ب " على " والباء وبأنّ جعله فعلاً لقوله : " شعاب
الحى " . ولولا هذه الأمور كلّها لم يكن هذا الحسن . وهذا موضع يدقّ الكلام فيه

وهذه أشياء من هذا الفن - من البسيط - :

(اليوم يومان مُذ غيّبتَ عن بصري ... نَفْسِي فِداؤك ما ذنبي فأعذر) .

(أُمّسي وأصبح لا ألقاك واحزننا ... لقد تأنّقت في مكروهي القدر)